نظرة فى كتاب :

حضارة العرب

تأليف الدكتور غوستاف لوبون

[الذى نقله إلى العربية الأستاذ محمد عادل زعيتر سنة ١٣٦٤ هـ سنة ١٩٤٥ م ، والتزمت طبعه ونشره دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه] .

ظهر هذا الكتاب ، والشبيبة العربية حائرة ، لضعف فى إيمانها ، وعوج فى تربيتها ، ووهن فى ثقافتها ، وعجمة فى لغتها ، ويأس من أمتها ، وخجل من ماضيها ، وغموض فى حاضرها ، وخوف من مستقبلها . أجل ظهر هذا الكتاب النفيس ليقول — بلسان الأجنبى — لضعيف الإيمان هذا هو الصخر من عظمة الأجداد فابن عليه إيمانك الوطنى الضاوى الهزيل . ويقول للبائس ! من كان لأمته مثل هذا الماضى المشرق اللامع لا يمكن أن يتسرب اليأس فى قلبه ، إلا إذا كانت قد حقت عليه اللعنة ، ويقول للخجل من أمته الذى لا يحدثك إلا وهو يخلط العربية بألفاظ من لغات متعددة ، إنك من شعب لم تعرف البشرية أنبل منه ولا أشرف[1] ! وليقول للوجل من الحاضر الخائف من المستقبل « إن الخوف هو لعنة الحياة ! وإن الشك فى الانتصار هو الهزيمة العابسة النكراء ! » ....

(١) صفحة ٨٥ من الكتاب المبحوث عنه .

الهرومة من لذائذ الواقع ، الموفورة الحظ من متع الخيال وأفاويقه فإن كتابه جاء خالياً مما يسعر الحس ، ويدفع إلى مزالق الشهوات .

ولا يهمنا إذا كان المؤلف قد انتهى إلى هذا عن عجز فى الوسائل فهو مكره لا بطل ، أو عن تعفف القادر الصادف عن وحل البهيمية ، فللعبرة بالكتاب الذى أصدره وهو كتاب يصح أن يقرأه الجيل الشاب ليستبطن دخائل ما يختلج فى واعيته من إشعاعات الحس الفائر وموحيات الدم الشاب المستعر ، وليتبصر بها ، وقد عرضها الكتاب عرضا ينشط الإيحاء العفيف ، بعد أن أضفى عليها المؤلف من روحانياته مسحة أحالتها إلى متع ذهنية تضىء ولا تحرق .

زكي طليمات

مدير معهد التمثيل العربى

هذا السفر الضخم الذى يقع هو ومقدماته ، وفهرساه ، وثبت مصادره وتصحيح لتطبيعاته — وهى قليلة — فى ستمائة وخمسة وسبعين صفحة من القطع الكبير ، يسحرك ويستهويك فتمضى فى مطالعته لا تشعر بسآمة ولا ملل ، لا تحس إلا وقد قرأت آخر حرف فيه ، ولكم تتمنى وأنت تطالع الكتاب ، لو كانت أعصابك تسمح لك بقراءته فى جلسة مهما تطل .

حقا إنك لا تشعر إلا وقد اتجهت أفكارك إلى الدكتور جوستاف لوبون تحييه تحية المعجب بصدقه ، الممتن لإخلاصه وإنصافه . لأنك تجد فى الكتاب كل ما تريد أن تقول فى مثل هذه الأيام العابسة السود . فإذا اتهم قومك بالوحشية والتبربر ؛ وإذا أنكر فضل أمتك منكر ، وإذا قيل لك إنك من أمة ليس لها فى الدنية والعلم من أثر ، جاء الدكتور غوستاف لوبون بكتابه هذا يشهد للحق المهيض الجناح . وجاء قلم الأستاذ الزعيترى العادل ينقل تلك الشهادة لأبناء قومه بقلمه الساحر ، وأسلوبه الغض الناضر ، فإذا هو تحفة من التحف ، التى تستحق أن تقتنى بثقلها ذهباً ! لا أقول هذا مبالغة ، ولا أقوله إفراطاً منى فى تقدير مجهود الأستاذ العادل ، فأنا والله لا أعرف الرجل لكى أجل لفضله ، محترم له لما خدم به قومه . فإذا قلت إن الكتاب يستحق أن يقتنى ولو بثقله ذهباً فما ذلك منى من الإفراط فى شىء ، فلقد كان عظماء العرب قبل اليوم يكافئون الشاعر المجيد بأن يملأوا فمه جوهراً[1] فأين أحلام الشعراء الذين يتبعهم الغاوون من الحقائق الملموسة التى توقظ فى النفس أنبل ذكرياتها ؟ !

ولو لم يكن الغرض من نشر هذا الكتاب باللغة المبينة أن يطلع عليه أعظم عدد ممكن من الناطقين بالضاد لقلت إن ثمنه غير يسير . أما والغاية من نشره تعميمه فأقترح أن تتولى إحدى الهيئات الوطنية شراء هذا الكتاب وتخفيض ثمنه إلى أقصى حد ممكن ، حتى لا يظل بيت خالياً من نسخة منه لأنه من حق الرجل الذى أنصف العرب — يوم كان الإنصاف جزعة — من حقه أن ينشر كتابه أعظم نشر ، ومن حق المترجم الذى جعل الحقائق التاريخية الجافة — مما أضفى عليها من بيانه العذب — أنغاماً عذبة أن يروج كتابه أوسع رواج جزاء لجهوده الموفقة .

فالكتاب فى جملته وتفصيله لا غنى للأديب ، ولا للكاتب ، ولا للناشىء عنه ، وهو خير تحفة لأنه شهادة من عالم كبير يكاد

(١) راجع صفحة ١٢٧ من نخب الذخائر ، وصفحة ١٤٢ من الأغانى جـ ١ وصفحة ١٧٤ جـ ٦ وصفحة ١٢١ من التمدن الاسلامى جـ ٥ .

قومه ينكرون على العرب كل فضيلة ، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان في الاطلاع على التمدن الإسلامي للمرحوم جرجي زيدان مايغني عن هذا الكتاب ، ولكن أين شهادتنا لأنفسنا من شهادة الأجنبي لنا ؟ !

هذا ولئلا يكون كلامي مقصوراً على ناحية الجمال في هذا الكتاب أرجو من الأستاذ الزعيتري النابه أن يقبل بعض الملاحظات التي تتعلق بألفاظ جرى فيها قلمه على طريقة المعاصرين من أبناء هذه اللغة الشريفة ، فجاءت بالنسبة إلى أسلوبه النضر كأنها هي الكلف في وجه الفادة الحسناء . فمن ذلك قوله : الخطأ: البطرا . الصواب: بطرا ليس غير . أذكر أن العلامة المرحوم أحمد زكي باشا طلب مني في كتابه المخطوط إلي في سنة ١٩٣٤ أن أحقق هذه النقطة ، فوجدت أن في شرق الأردن مواقع عدة خلط بينها الكتاب والمؤرخون خلطاً شنيعاً .

بطرا — وهي المعروفة بالعربية الحجرية ، وقد كان المرحوم صروف يكتبها البتراء وهو وهم ، وكتبها الخبير الجليل بولس سمان رئيس أساقفة شرق الأردن (بطرى) وهو وهم انفرد به سيادته . أما البتراء — فما يرده الكركيون في شرق الأردن ، وأرض معروفة هناك . وخلطوا أيضا بين « بطرا » والرقيم — مع أن الرقيم شيء وبطرا شيء آخر ، فالرقيم موضع في مساكن عرب العجارمة التابعة لقضاء مأدبا ، وخلطوا بينها وبين « الرجيب » والرجيب — تحريف لكلمة « الرقيم » لأن عربان بني صخر يلفظون القاف جيماً والجيم باء في بعض الأحيان ، والرجيب هذه موقع بالقرب من عمان حاضرة شرق الأردن . وخلطوا بينها وبين « بيتراس » وبيتراس آثار قرية في جهات عجلون من أعمال شرق الأردن، إذا فالكلمة «بطرا» ليس غير. ويرى العلامة الكوملي أن كتابتها « بترآء » هي الوجه .

الخطأ : البحر الأبيض المتوسط .

الصواب : هو بحر الروم ، أو البحر المتوسط ، أو البحر الشامي ، أو بحر الشام . راجع صفحة ٢١ و ٩٩ و ١٣٥ و ١٣٦ من كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر تحقيق الإمام الكوملي المطبوع في مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : طيبة .

الصواب : طيبة المدينة المنورة ، أما المدينة المصرية (فطيوه) ليس غير . من كتاب مخطوط وجهته إلى الإمام الكوملي. الخطأ: أمريكه . الصواب : أميركة — راجع صفحة ١٦٧ و ١٠٢ و ١٥٣ و ١٩٩ و ٢٠٠ من كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، تحقيق الإمام الكوملي طبعه في مصر سنة ١٩٣٩ . الخطأ : الأطلسي .

الصواب : الأطلنطي ، أو الأتلنتي ، أو الأتلنتيكي ، راجع صفحة ٣٠ و ١٤٠ من كتاب نخب الذخائر المار ذكره . ومقدمة ابن خلدون طبعة بيروت الثالثة صفحة ٤٤ . الخطأ : الامبراطور

الصواب : الانبراطور — وهو اللفظ الذي نطق به العرب ، راجع مقدمة ابن خلدون طبعة بيروت غير المشكولة ص ٢٠٤ وص ٢٣٤ من طبعة بيروت المشكولة . وقالوا الانبريارين لنيات معهود ، والسبب أن العرب تضع نوناً ساكنة قبل الباء المتحركة ولا يرد على ذلك بأن هذه النونات في مثل انبراطور ، وسبتنبر ، ونوفنبر ، وديسنبر تكتب ميمات في اللغات الغربية ، لأنها تلفظ نونات في تلك اللغات عينها ، عن رسالة مخطوطة ، إلى من الإمام الكوملي في ١٩٤٠/١١/٢٥ .

وهنالك وهم شائع لا يكاد ينجو منه مؤرخ محدث وقد تردى في هوته المؤلف نفسه وهو القول بأن الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان هو أول ضارب للنقود في الإسلام .

ووجه الصواب : أن النقود ضربت في الإسلام قبل عبد الملك بن مروان . فلقد ضرب خالد بن الوليد باسمه نقوداً في طبريه سنة ١٥ أو ١٦ للهجرة . راجع التمدن الإسلامي ج ١ ص ١٢٠ نقلا عن الدكتور مولر ، وصفحة ٩١ من كتاب النقود العربية وعلم النميات تحقيق الأب الشهير انستاس ماري الكوملي المطبوع في مصر سنة ١٩٣٩ . وضرب عمر بن الخطاب نقوداً حتى هم بأن يتخذ نقوداً من جلود الإبل . ص ١٧ و ١٨ من كتاب النقود العربية وعلم النميات ، وكان أول من ضرب النقود مستدرة عبد الله بن الزبير . راجع صفحة ٩٢ من كتاب النقود العربية . وضرب معاوية أيضاً دنانير عليها تمثال متقلداً سيفاً فوقع منها دينار رديء في يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية وقال : يا معاوية إنا وجدنا ضربك شر ضرب . فقال له معاوية : لأحرمنك عطاءك ولا كسوتك القطيفة . صفحة ٢٣ من كتاب النقود العربية وعلم النميات . فمما تقدم نرى أن ضرب الإسلام للنقود سبق عبد الملك بن مروان اللهم إذا أردنا أن نقول : « ان عبد الملك بن مروان كان أول موحد للنقد المتداول في البلاد العربية فيحق لنا ذلك » .

هذا وأسأل الله أن يكون ما قلته خالصاً لوجه العلم والحق .

القدس العزيزي

ظهر حديثاً كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

أحمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

نشر الاعلانات فى الرسائل البرقية

إن الاعلان فى الرسائل البرقية المتداولة بين سكان القطر المصرى باجمعه هو دعاية هامة واسعة النطاق قد هيأتها المصلحة للمعلن الذى يرمى إلى رواج أعماله وللتاجر الذى يبغى التوسع فى تجارته .

وقد راعت المصلحة أن تكون أجور النشر فى هذه الرسائل زهيدة وفى متناول الجمهور فجعلت كل مائة ألف إعلان بثلاثين جنيها مصرياً وكل ربع مليون بسبعين جنيها وكل نصف مليون بمائة وعشرين جنيها فضلا عن تخفيض معين فى المائة إذا بلغ المراد نشره مليونا أو أكثر من الاعلانات .

انتهزوا هذه الفرصة ولا يفوتكم أن تحجزوا من الآن القدر اللازم لكم من هذه الرسائل .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)